

التبيان في تفسير القرآن

(532) قدروا عليه " أولا تؤمنوا " وتجدوه، فإن إيمانكم لن يزيد في خزائن الله شيئا، ولا ترككم الإيمان به ينقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا " إذا يتلى عليهم " من القرآن " يخرون " تعظيما له وتكريما، لعلمهم بأنه من عند الله، لاذقانهم سجدا بالارض واختلفوا في المعنى بقوله " يخرون للاذقان " فقال بعضهم: أراد به الوجوه روى ذلك عن ابن عباس وقتادة. وقال قوم يعني بذلك اللحن، حكى ذلك عن الحسن. وقوله " ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا " حكاية من الله عن هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن خروا للاذقان سجودا عند استماعهم القرآن يتلى عليهم تنزيها لله تعالى وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون، ويقولون لم يكن وعد ربنا من ثواب وعقاب إلا مفعولا حقا يقينا إيمانا بالقرآن وتصديقا له. والاذقان جمع ذقن، وهو مجمع اللحين. وقال مجاهد ابن زيد: " الذين أوتوا العلم من قبله " إلى قوله " خشوعا " ناس من أهل الكتاب حيث سمعوا ما أنزل الله على محمد " قالوا سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا " وقال ابن جريج: إذا يتلى عليهم كتابهم وقال قوم " الذين أوتوا العلم " يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. ويراد بقوله " إذا يتلى عليهم " يعني القرآن، لانه من سياق ذكر القرآن، ولم يكن يجري لغيره من الكتب ذكر، وهو الأقوى، لان الآية فيها مدح لمن وصف بما فيها، وذلك لا يليق بالكفار إلا أن يراد بذلك من آمن منهم وكان عالما قبل ذلك بصحة القرآن اذ علموا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل ويحتمل ذلك اذا على ما بيناه. وقوله " ويخرون للاذقان ويكونون يزيدهم خشوعا " يقول الله يخرون هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان اذا يتلى عليهم القرآن " لاذقانهم يكونون يزيدهم " ما في القرآن من المواعظ والعبر " خشوعا " يعني خضوعا لامر الله وطاعته واستكانة له.